إنتشاراً كبيراً على حساب المسيحية وبالتالي لتغير وجه التاريخ، ولذلك أسهب العديد من مؤرخي الغرب في تقييمها وتحليل نتائجها، بينما أوجزت المصادر العربية الحديث عنها، إذ عدتها على ما يبدو خسارة عادية كبعض المعارك الأخرى التي خسرها العرب المسلمين أثناء معركة الفتوحات، واستدلت على ذلك بأن هذه الخسارة لم توقف هجماتهم على بلاد الغال، فقد عادوا في العام التالي سنة (١١٥هـ/٧٣٣م) لمهاجمتها من جديد في عهد الوالي عبد الملك بن قطن الفهري.

أما أسباب الهزيمة فهي:-

١- بُعد ميدان المعركة في جنوب فرنسا عن مركز التموين والدعم العسكري عن العاصمة قرطبة التي تقدر بـ ٩٠٠كم.

٢- طول فترة المعركة لثمانية أيام من شهر شعبان ورمضان بين نصر وخسارة ومد وجزر أتعب الجنود المسلمين.

٣- كانت غالبية المقاتلين من المسلمين البربر ولم يستطع القائد عبد الرحمن الغافقي من إزالة أسباب الخلاف بين جنوده من العرب والبربر.

٤- كثرة الغنائم التي كان يسحبها الجيش الإسلامي من جيش الفرنجة وخوف المسلمين من مهاجمتها وضياعها كان من أكبر أسباب الهزيمة.

٥- كان وقت المعركة في فصل الخريف وهو موسم الأمطار الثقيلة والمسلمون لا يستريحون للبرد والمطر فضلاً أنهم قاتلوا في منطقة كلها غابات.

٦- يبدو أن عبد الرحمن الغافقي كان جندياً عظيماً، ولكن تنقصه القدرة على وضع خطة محكمة للقتال كما رأينا مثلاً عند حسان بن النعمان أحد قادة فتح المغرب الإسلامي وطارق بن زياد إلا أن عبد الرحمن الغافقي استمر في سيره حتى لقيه الفرنجة.

٧- استشهاد القائد الوالي عبد الرحمن الغافقي في اليوم الأخير من المعركة أدى إلى إرتباك بين صفوف الجيش فقرر قادة الجيش الانسحاب ليلاً للحفاظ على أرواح المسلمين ولم يرغب القائد شارل مارتل من متابعة إنسحاب وخسارة الجيش الإسلامي خوفاً من الخديعة لأن الحرب خدعة كما يقول الإمام علي بن أبي طالب(ع).

٨- تميز المقاتلين الفرنجة وخاصة الألمان بالصبر والشجاعة والقوة فكانوا لا يقلون عن العرب المسلمين شراسة في الحروب مما أدى إلى عدم اختراق صفوفهم(١).

---

(١) حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٩٥-٢٩٧.

وسائل نشر الإسلام في الأندلس

١- بناء المساجد: أن أول عمل يقوم به المسلمين عند فتح أي مدينة هو بناء المساجد فعندما دخل موسى بن نصير مدينة الجزيرة الخضراء بنى مسجداً وبعد أول مسجد في الأندلس واستمر قادة الفتح في بناء المساجد في جميع المدن مثل قرطبة، طليطلة، اشبيلية وغيرها ومما لا شك أن هذه المساجد أدت دوراً كبيراً في نشر الإسلام.

٢- المصاهرة: لقد أعتاد المقاتلون المسلمون في عمليات الفتوح أن يحملوا عوائلهم معهم خصوصاً إلى المناطق البعيدة أما الجيش الذي دخل إلى الأندلس فكان غالبيتهم من الشباب الذين ذهبوا دون اصطحاب عوائلهم أو لم يكونوا متزوجين وقد بادر بعض قادة وولاة الأندلس بالزواج بالإسبانيات من أهل الذمة فكان لهذه المصاهرة الأثر الكبير في نشر الإسلام بين المولدين وغيرهم جيلاً بعد جيل.

٣- نشر الثقافة واللغة العربية: من المعروف أن اللغة العربية تنتشر أينما حل العرب المسلمون فهي لغة القرآن الكريم وتعلمها واجب على من يريد أن يقرأ القرآن الكرم والسنة النبوية الشريفة فضلاً على أن اللغة العربية كانت لغة الحُكم والإدارة فيما دفع أهل الأندلس من الإسبان إلى تعلم اللغة العربية لحاجتهم إليها.

٤- دور السلطة والحُكام في نشر الإسلام واللغة العربية بتأسيس المساجد وبناء المدارس وتشجيع العلماء والأدباء والشعراء.

٥- سلوك المسلمين: وتعاملهم مع أهل الذمة من المسيحيين واليهود وغيرهم بالتسامح وحُسن الخُلق لأن الدين المعاملة حيث شجع أعداداً كبيرة من الإسبان على إعتناق الإسلام وتعلم اللغة العربية.

المجتمع الأندلسي[1]

الفاتحون المسلمون للأندلس مزيج من قبائل عربية مختلفة منهم العدنانيون (من هاشميين وأمويين) ومنهم اليمنيون وأنضم إلى هؤلاء مصريون وشاميون وعراقيون، وجمع كبير من البربر (المغاربة) وأمتزج هؤلاء بأهل البلاد من قوط وإسبان وغيرهم بالمصاهرة أو المجاورة.

ويمكن عرض أهم عناصر ومكونات المجتمع الأندلسي إلى:

١- العرب: لقد وفد أكثرهم على إسبانيا في شكل جنود أو قادة لا في شكل أسر أي أنهم لم يأتوا في أغلب الأحيان بنسائهم وزوجاتهم فتزوجوا من نساء البلاد.

---

(١) راجع: خاشع المعاضيدي، تاريخ العرب والأندلس، بغداد ١٩٨٦، ص٢٥٨-٢٦٥؛ فتحي المرغيني، أهل الذمة في الأندلس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المرقب، ليبيا ٢٠٠٣، ص٥١-٥٧.

فمثلاً كان جيش موسى بن نُصير، مؤلفاً من ١٨ ألفاً من العرب وكان جنود الشام الوافدون مع بلج بن بشر في عصر الولاة عشرة آلاف منهم ثمانية آلاف من بيوت العرب وألفان من الموالي وكان جنود ابن الخطار الكلبي الوافدون في عصر الولاة أيضاً من العرب كذلك وفد آخرون من العلماء والأدباء والتُجار سواء أفراداً أو أسراً أو جماعات هربوا من اضطهاد العباسيين للأمويين وأنصارهم بالمشرق.

٢- البربر (المغاربة): لقد دخل البربر الأندلس، جنباً إلى جنب مع عرب المشرق، وكان أول طلائعهم تلك التي دخلت مع طارق بن زياد، ثم لحقت منهم أعداداً كبيرة بعد الفتح، فعبروا البحر، وظلت هجرة البربر إلى الأندلس مستمرة ومتصلة، بحكم القرب والجيرة. وكان أكثرهم من قبيلة زناتة وفروعها.

لقد انتشر البربر في معظم نواحي الأندلس، وخاصة المناطق المتطرفة في أقصى الشمال الشرقي والغرب، أو ما يُسمى بالثغور، وصار معظم ولاة الثغور منهم.

لم تكن منازل العرب والبربر بالأندلس، والتي استقروا بها، اختياراً أو استئثاراً لفريق على آخر، إنما استقروا حيث نزلوا أو ساروا أول أمرهم، وصارت منازلهم على ذلك، ومال كل فريق منهم إلى ما يناسبه من النواحي، فاستقر العرب في السهول والمنخفضات والنواحي الداقئة القليلة المطر وخاصة في الجنوب والشرق والغرب، في حين فضّل البربر المناطق الجبلية العالية فاستقروا بها بأختيارهم، لشبه كل بقعة بما كانوا عليه في المشرق أو في المغرب، وقد أختلط البربر أيضاً مع السكان الأصليين بالأندلس، وأرتبطوا معهم بروابط المصاهرة والمودة، وتحولوا مع الزمن إلى بلدين أندلسيين، أي سكان أصليين، وصار لهم دور بارز في نشر الإسلام في تلك الديار وكان لهم دور واضح أيضاً إلى جانب العرب في فتح الأندلس أولاً والفتوحات ما وراء جبال البرتات ثانياً، وكانوا قوة دافعة ومُجددة لهذه الفتوح على الرغم من حداثة عهدهم بالإسلام. ولكن أكثرهم تمسكاً بالإسلام وحماسة للفتح مع العرب، لأن الإسلام كان وسيلتهم الأولى في الأندلس.

٣- المولدون: عندما دخل العرب المسلمين الأندلس، كان سكانها شعباً أوروبياً نصرانياً في غالبيته العظمى، يضم مجموعة قليلة من اليهود، حيث أرتبط الكثير من العرب والبربر بالمصاهرة مع السكان الأصليين في الأندلس، وعاشوا معهم متجاورين متحابين ومتساوين، الأمر الذي أدى إلى انتشار الإسلام في هذه البلاد، أطلقوا على السكان الأصليين اسم "عجم الأندلس"

وعلى الذين اسلموا من أهل الذمة اسم "الأسالمة أو المسالمة" ثم أطلقوا على أولادهم اسم "المولدين" ثم تلاشت بمرور الزمن هذه التسمية بسبب اختلاط الناس، وتحول الجميع إلى شعب أندلسي واحد دون تمييز.

٤- المستعربون[١]: هم السكان الأصليين الذين ظلوا على ديانتهم المسيحية في الأندلس وأطلقوا عليهم اسم "المستعربون" تمييزاً لهم عن القشتاليين والفرنجة الخارجين عن طاعة الدولة العربية الإسلامية بالأندلس، وأصبح المستعربون عنصراً متميزاً في المجتمع يحسن لغة العرب المسلمين ويجري على عاداتهم، رغم احتفاظه بديانته وطقوسه ورفعت عنهم كثير من المظالم والضرائب، التي فرضها عليهم القوط سابقاً، وكان لهم قضاة ومحاكم خاصة بهم، ولم يرتدوا الملابس التي تميزهم عن المجتمع، ويغلب أن يكون للواحد منهم اسمان: اسم عربي يُشتهر به، واسم إسباني أو لاتيني يُعرف به رسمياً وبلغ استعرابهم لغة وثقافة أن يعيشوا حياة عربية إلى الحد الذي جعلهم يختنون أبناءهم، ويطبقون نظام الحريم في البيت على غرار العرب المسلمين، وأحسن هؤلاء اللغة العربية وأتقنوها إلى جانب اللغة الإسبانية، وصار أهل الذمة والمسالمة ثم أبناءهم المولدون، يشكلون الأغلبية من سكان الأندلس، وصار عدد المولدين فيهم تباعاً، هم الأغلب في هذا المجتمع.

٥- الصقالبة[٢]: وهم من الممالك الذي كان يجلبهم تجار الإغريق والبندقية من شواطئ البحر الأسود، ومن المقاطعات الإسبانية الشمالية، إلى الأندلس ويبيعونهم صغاراً فينشئوا نشأة إسلامية وكانوا يسمون الخرس أيضاً لعجميتهم كما كانوا من أسرى الحروب جلبهم رجال القراصنة المغاربة أو الأندلسيين أثناء غاراتهم الأوروبية للبحر الأبيض المتوسط وبعد مجيئهم سرعان ما تعلموا العربية واعتنقوا الإسلام وتحرر فريق منهم من العبودية وأحتل مكاناً بارزاً في المجتمع وصار الصقالبة عنصراً هاماً من عناصره في الأندلس وكانوا يتواجدون عادة في العاصمة قرطبة والمدن الرئيسية، وقد أتخذهم الأمير الأموي الحكم الأموي حرساً له، ولم يلبث عددهم أن أزداد كثيراً وتفاقم شرهم في البلاد أواخر الدولة الأموية بالأندلس، وبداية قيام الدولة العامرية.

٦- أهل الذمة (النصارى)[٣]: كان أهل الذمة من النصارى، يُشكلون الغالبية العظمى في المجتمع الأندلسي في بداية الفتح العربي الإسلامي وعهد الولاة لكن بمرور الزمن أصبح عددهم يقل تدريجياً في حين أخذ عدد العرب والبربر والموالي والمولدون يزداد، حتى صار أهل الذمة

---

(١) المستشرق الإسباني سيمونت، تاريخ المستعربون في إسبانيا، مدريد ١٨٦٧ ١٩٠٣، انظر يحيى مراد، معجم أسماء المستشرقين، بيروت ٢٠٠٤، ص٤٦٤.
(٢) أحمد مختار العبادي، الصقالبة في إسبانيا.
(٣) عُبادة كحيلة، تاريخ النصارى في الأندلس، القاهرة ١٩٩٣.

(النصارى) اخيرا أقلية من السكان، ولم يُمارس العرب المسلمون سياسة التمييز بين المسلمين واهل الذمة في الوضع والمعاملة وعاملوهم بالتسامح والرفق وتزوجوا من نسائهم وبناتهم وأبقوهم على ديانتهم إن رغبوا مع دفع الجزية، وعاهدوهم وعاقدوهم على الصلح متى طلبوا وتركوا لهم حرية اختيار رؤوسائهم وممارسة طقوسهم الدينية دون ضغط أو تدخل، إلا أن بعضهم شارك في أعمال تخريبية وتحالف مع الممالك المسيحية في شمال إسبانيا.

٧- اليهود[١]: شكل اليهود فئة صغيرة في إسبانيا قبل الفتح، ولاقوا سياسة الاضطهاد والظلم والعداء من قبل القوط، وعند فتح الأندلس تسامح العرب المسلمين معهم لأنهم من أهل الذمة وتمتعوا بالحرية الدينية وممارسة طقوسهم الخاصة، وأعادوا لهم حقوقهم وأملاكهم ونشطوا في جميع مجالات الحياة الأندلسية والاقتصادية خاصة واندمجوا مع المجتمع وصار لجماعاتهم رؤوسائهم مسؤولون أمام الحكومة الإسلامية يُعترف بهم. ومع ذلك فقد انحاز بعضهم إلى جانب أعداء العرب والإسلام وتحالفوا مع النصارى من الممالك الإسبانية في الشمال.

٨- الموالي[٢]: الموالي بالأندلس غير الموالي بالمشرق العربي فهم موالي بنو أمية، وعُرفوا هكذا عندما دخلوا مع بلج بن بشر إلى الأندلس وكان عددهم ألفين وهم جزء من عدد كبير من موالي بني أمية، كان الخليفة هشام بن عبد الملك قد بعث بهم إلى أفريقيا وكان عددهم ثلاثين ألفاً، أرسلهم الخليفة هشام مع كلثوم بن عياض إلى إفريقية لمحاربة البربر عندما دخلوا الأندلس انضم إليهم من كان من موالي بني أمية ومن دخلها بعدهم، فصار الموالي حزباً وقوة سياسية تؤثر في أحداث البلاد وكانت لهم اليد الطولى في إقامة الدولة الأموية بالأندلس والتي أقامها الأمير عبد الرحمن الداخل سنة (١٣٨هـ/٧٥٥م).

لقد أزداد عد د الموالي في الأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية في المشرق واشتد الطلب على الأمويين وأنصارهم فهربوا وتفرقوا في البلدان واتجه أكثرهم إلى أفريقيا ومنها إلى الأندلس، وكان هؤلاء الموالي يعدون أنفسهم تابعين للبيت الأموي، وصار الموالي الشاميون جبهة واحدة وكونوا قوة بارزة في ولاية يوسف الفهري، على أن الموالي بالأندلس كانوا ثلاثة أنواع:

الأول: هُم موالي بني أمية من المشرق والذين أرتبطوا بروابط الولاء القديمة للبيت الأموي.

الثاني: موالي المغرب العربي الذين دخلوا في ولاء بني أمية.

---

[١] مجموعة مؤلفين، الحضارة الأندلسية بأقلام إسبانية، ترجمة رضا هادي عباس، كتاب تحت الطبع، بغداد ٢٠٠٩.

[٢] خاشع المعاضيدي، المرجع السابق، ص٢٦١-٢٦٢.